بروفسور محمد إبراهيم أبو سليم إدارياً

دار الوثائق القومية - الخرطوم - السودان

أ. محمد يوسف محمد حسين

مستخلص:

سيرة البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم مليئة بالإنجازات. فقد حدد هدفه منذ تخرجه في جامعة الخرطوم عام 1955 وشق طريقه لتحقيق هذا الهدف والوصول إلى هذه المكانة العلمية المرموقة بالمتابعة والعمل الدؤوب. تطرق هذا المقال إلى بعض إنجازاته العملية في مجال عمله في دار الوثائق القومية وفي المجالات التعليمية والإدارية ومشاركاته القومية والإقليمية والدولية.

Abstract:

The biography of Professor Muhammad Ibrahim Abu Salim is full of achievements .He set his goal since he was graduated from the University of Khartoum in 1955 and he made his way to achieve this goal to reach this prestigious position with perseverance and hard work In this article ,we discussed some of Abu Salim's achievements in the field of his work in the National Archives ,as well as in the educational and administrative fields, in addition to his national ,regional and international participation.

مقدمة:

يقول ابن خلدون «إن التاريخ في ظاهره لا يزيد عن الإخبار وباطنه نظرٌ وتحقيق» ويقول أيضاً: «إعلم أن التاريخ فن غزير المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياساتهم حتى تتم فائدة الإقتداء».

فمن خلال دراسة التاريخ يمكن إكتساب كثير من المهارات مثل التفكير النقدي والبحث وتقييم المعلومات وما إلى ذلك، والتي تساعد كثيراً في تجويد العمل وتطوير المهارات، وكما يقول المفكر جورج سانتيانا (Jorge Santayana) «أولئك الذين لا يستطيعون تذكر الماضي محكوم عليهم بتكراره»⁽¹⁾ ودراستنا لسيرة بروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم تجعلنا نقف على ما كان عليه كمؤرخ وعالم وباحث وإداري للإستفادة من علمه وخبرته، ودراسته هو للتاريخ جعلت منه كل ذلك.

لعل الكتابة عن هرم من أهرامات المؤرخين في السودان، بل الوطن العربي ككل مثل البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم من أصعب الأمور خاصة أنه يتميز بصفات كثيرة وإغفال أي جانب منها يعد تقصيراً ما بعده تقصير وخاصة إذا كان الكاتب ليس من رصفائه بل من تلاميذه في مجال العمل.

مولده وتعليمه:

ولد بروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم في قرية سرجمتو في الولاية الشمالية في السودان سنة 1927م، ودرس المرحلة الأولية بمدينة عبري والمتوسطة بوادي حلفا والثانوية بوادي سيدنا، ثم التحق بجامعة الخرطوم وتخرج فيها سنة 1955م. التحق فور تخرجه بمكتب صغير مختص بحفظ الوثائق في وزارة الداخلية وما لبث أن تطور عليه يديه واصبح فيما بعد دار الوثائق القومية والتي ما زالت صرحاً شامخاً حتى يومنا هذا. نال درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ من جامعة الخرطوم سنة 1966م.

عمله في دار الوثائق:

تعد دار الوثائق القومية من أعرق وأثرى دور الوثائق والأرشيفات والمراكز المتخصصة في حفظ التراث الفكري والإنساني على مستوى العالمين العربي والأفريقي. وتعود بداية العناية والإهتمام بحفظ الوثائق الرسمية في السودان إلى سنة 1916م إبان عهد الإدارة البريطانية، حينما فكر السكرتير القضائي في إنشاء جهاز مركزي يعنى بتنظيم وحفظ المكاتب المالية.

في العام 1921م كونت الإدارة البريطانية لجنة سميت آنذاك بلجنة محفوظات السودان برئاسة السكرتير القضائي وإقتصر إهتمام هذه اللجنة على المستندات والوثائق الرسمية المالية. تلى ذلك تكوين لجنة مكتب محفوظات

سنة 1946م والتي أعدت الإجراءات التنظيمية المهمة وكان من بينها تأسيس مكتب محفوظات السودان هو نواة دار الوثائق الحالية لتودع فيه كل الأوراق التي أنتجت قبل ديسمبر 1937م بإعتبارها وثائق تاريخية.

في سنة 1953م اقترح المستر بيتر مالكولم هولت (Peter Malcolm Holt)⁽²⁾ الذي أنتدب من كلية غردون الجامعية لإدارة مكتب محفوظات السودان، فصل المكتب عن وزارة الداخلية وإنشاء وظيفة مساعد أمين المحفوظات يشغلها سوداني من حملة الدرجات العلمية الجامعية وقد تم تعيين الأستاذ محمد ابراهيم ابو سليم في هذه الوظيفة في سنة 1955م وتولى منصب أمين الحفوظات بعد استقالة المستر هولت في إطار سودنة الوظائف بعد استقلال السودان.⁽³⁾

جاء الإستقلال بتبعاته الفكرية لتبرز أهمية الوثائق في دراسة أصول المشاكل السياسية والإجتماعية والإقتصادية، كما اتسع الإهتمام بالدراسات العليا السودانية كماً ونوعاً بترقي كلية غردون الجامعية إلى جامعة الخرطوم، وقد ساهم هذان التطوران في ترقية مكتب محفوظات السودان ترقية مطردة. ويقع في هذا الخصوص الجهود التي قام بها بروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم والتي اتجهت إلى إبراز شخصية مكتب محفوظات السودان القانونية في الحياة الوثائقية والفكرية السودانية بعد أن أرست الممارسة العملية في مكتب محفوظات السودان زيادة الوعي الوثائقي والإهتمام به وتعدد مصادره مما استوجب توسيع مهام وإختصاصات المكتب بإصدار قانون دار الوثائق المركزية لسنة 1965م والذي تم تعديله سنة 1982م لتصبح دار الوثائق القومية. واتصلت بهذه النقلة في الوضع المعنوي والقانوني لدار الوثائق إنجازات كبيرة، إذ وُفقت الدار في تحويل الأوراق الحكومية من مناطق السودان المختلفة إلى مستودعاتها، وُفقت أيضاً في جمع المحفوظات الأثرية التي لم تشملها المصادر الرسمية فاصبح للدار مجموعات كاملة من الصحف السودانية والمجلات. وكذلك وُفقت الدار في إجتذاب المدعين وانتهت إلى تكوين مجموعة معتبرة من وثائق الأرض والنسب والطرق الصوفية والأعمال الأدبية والأوراق الخاصة، وهو إنجاز تضافرت على تحقيقه السمعة المعنوية الطيبة التي حققها لها البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم بفضل حنكته الإدارية وحرص جماعة مرموقة من رجال العمل العام والباحثين والأدباء. وقد ترافق ذلك كله مع توسع كبير في الدار وإهتمام دقيق بتدريب كادرها محلياً وخارجياً. وامتدت رعاية الدار

للوثائق في نظامها حيث نظمت الكورسات التدريبية للوثائقيين من الجامعات والمصالح الحكومية المختلفة. ونتيجة لذلك شهدت الفترة من صدور قانون سنة 1982م وما بعدها العديد من التطورات والمتغيرات في المفاهيم الخاصة بمجال العمل الوثائقي والمعلومات وتنامي الوعي بأهمية التوثيق والوثائق والمعلومات وإهتمام الدولة في أعلى مستوياتها بأهمية تطوير وتحديث العمل الوثائقي في البلاد عامة وفي دار الوثائق القومية بصفة خاصة.

كان البروفيسور محمد ابراهيم ابوم سليم متوازناً في إدارته لدار الوثائق كمؤسسة حكومية قومية تهتم بالمعلومات والتراث السوداني وبين المجتمع السوداني في إطاره الواسع وبتشكيلته القبلية والثقافية المختلفة الأساليب، وقد خلق من أجل ذلك صلات واسعة وحميمة مع البيوتات الدينية والزعامات القبلية والشخصيات التاريخية والسياسية المهمة بالبلاد، ورغم ذلك آمن ابو سليم بقومية المرفق وشموليته وحياديته، والتزم هذه الحيادية منهجاً واسلوباً ولم يتحيز لمنطقة دون أخرى أو ينجذب لفئة بعينها.⁽⁴⁾ وقد قال عنه في هذا الصدد زميلاه أوفاهي (R S O'Fahy) واندريس جوركيلو (Anders Bjokel) في مقال عن كتابات ابو سليم نُشر في مجلة (Sudanic Africa) العدد 1 1990م «أن ابو سليم قام بترجمة دوره كمدير للأرشيف السوداني بشكل متحرر في دعمه للباحثين السودانيين والباحثين الأجانب بشكل متساوي» دلالة على حياديته في تعامله مع الكافة.

في مطلع عام 1995م تقاعد البوفيسور محمد ابراهيم ابو سليم بعد أن أكمل الفترة القصوى في خدمة الدولة وهو من القلة في جيله الذين أكملوا سني الخدمة لأن أغلبهم تخلوا عنها لفرص عمل أحسن وذلك لإيمانه بما كان يقوم به من دور وحبه للعمل في الطريق الذي إختطه لنفسه وصنع فيه أمجاد له ولأمته.

مشاركاته الداخلية:

عمله في دار الوثائق القومية والمؤسسات العلمية وطوافه ربوع السودان ساعياً لجمع الوثائق لرسمية من دواوين الدولة ومتتبعاً للوثائق الخاصة في مظانها المختلفة وترأسه لبعض اللجان مكنه من الوقوف عن كئيب على حصيلة ضخمة من المعارف والمعلومات عن أقاليم السودان المختلفة استقاها من لقاءه بالمسؤولين واجتماعاته بقيادات وزعماء ورؤساء تلك المناطق من

النظار والمشائخ والعمد والأعيان والإداريين ودعم ذلك بأن قرأ كثير عن الإدارة الأهلية فأصبح حجة ومرجعاً لكل من يبتغي المشورة وينشد المعلومة الصحيحة الموثقة.⁽⁵⁾ كل ذلك أكسبه خبرة إدارية واسعة أهلتة أن يكون مشاركاً في كثير من اللجان وأدارات ومجالس المؤسسات التعليمية والمجالس المتخصصة والجمعيات المهنية، فقد كان، بالإضافة إلى أنه أمين عام دار الوثائق القومية التي أتشأها، عضواً في المجلس القومي لإدارتها وكذلك عضو للجنة مبانيتها التي تكونت سنة 1995م، وعضواً بمجلس الهيئة القومية للآثار والمتاحف، وعضو في لجنة متحف السكة حديد القومية، ورئيس اللجنة القومية لإعادة النظر في تقسيم المديرية الشمالية سنة 1974م، وعضو اللجنة القومية لإعادة النظر في مناهج التربية الوطنية، وعضو اللجنة العليا للإصلاح الإداري ولجنة الإدارة الأهلية، وعضو اللجنة الثلاثية للنظر في الحكم الشعبي المحلي، ولجنة الدراسات البشرية والتي كان مقرها دار الوثائق القومية، وكذلك رئيساً للجنة تسمية شوارع الخرطوم.⁽⁶⁾

أيضاً شارك البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم في كثير من مجالس المؤسسات التعليمية منها جامعة ام درمان الإسلامية وجامعة الخرطوم ثم مجالس كليات الآداب بجامعة الخرطوم وعضو مجلس كلية الإقتصاد والعلوم الاجتماعية وعضو في مجلس معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ومجلس دار جامعة الخرطوم للنشر. وقد رأس محمد ابراهيم ابو سلم الجمعية التاريخية لسنوات عديدة، كما أنه كان عضواً بالجمعية الفلسفية السودانية، وعضواً بالمجلس القومي للبحوث، وعضواً بالمجلس القومي لرعاية الآداب والفنون الذي وضع مسودة قانونه، وحين أنشأ المجمع اللغوي السوداني تم إختياره لعضويته كأحد أنشط الأعضاء العاملين من العلماء الأخيار.

مشاركاته الخارجية:

لم تكن مشاركات البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم داخل السودان فحسب بل تعدته إلى خارج الحدود فقد كانت له مشاركات في المؤسسات التعليمية في كثير من دول الخليج والمغرب العربي والنرويج محاضراً واستاذاً زائراً، فضلاً عن مشاركاته في المنظمات المهنية فقد كان خبيراً لدى اليونسكو وعضواً في المجلس الدولي للأرشيف. ويعد أبو سليم من مؤسسي الفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف، فقد شارك محمد ابراهيم في المؤتمر التأسيسي

للفرع الي انعقد في روما في الفترة من 20 - 29 يوليو 1972م والذي أُنتخب فيه الدكتور محمود الشنيطي من مصر ليرأس الإجتماع والبروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم نائباً له. وفي هذا الإجتماع تم إنتخاب المكتب التنفيذي للفرع وأُنتخب فيه البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم أميناً عاماً للفرع لمشاركته الفاعلة في ذلك الإجتماع التي أظهر فيها حنكته وخبرته الإدارية في المجال. وافق المجتمعون في ذلك الإجتماع على أن يكون مقر أمانة سر الفرع الدائمة في مدينة بغداد، وأُعرب الحاضرون بإرتياح عن شكرهم لممثل جمهورية السودان لوقوفه الداعم لتوحيد الصف العربي ويسجلون بسرور وإعتزاز كلمات المندوب العراقي التالية:

«أتقدم بالشكر إلى جميع الحاضرين، وعلى الأخص ممثل جمهورية السودان على موقفه الذي يعتبر دليلاً قاطعاً على عدم التفريق بين العرب وعلى أن عواصم البلاد العربية كلها في مرتبة واحدة». وقد استمرت الدورة للمكتب التنفيذي اربع سنوات من 1972م حتى 1975م، ثم تم إنتخاب مكتب تنفيذي للدورة الثانية 1975م - 197م وكان البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم رئيساً لهذه الدورة.⁽⁷⁾

الخاتمة:

وختاماً كان البوفيسور محمد ابراهيم او سليم أو « شيخ المؤرخين » كما يطلق عليه رصفاؤه، مؤرخاً وباحثاً وعالمياً وإدارياً لا يشق له غبار، وقد ترك إرثاً تاريخياً وثقافياً ضخماً، وخاصة في تاريخ المهديّة الذي يعتبر حجة فيه، علاوة على مجال الوثائق والتوثيق، أضف إلى ذلك أنه كان إدارياً من الطراز الأول وقد ظهر ذلك جلياً في إنشائه وإدارته وتطويره للأرشيف القومي السوداني الذي أصبح في عهده أهم وأعرق الأرشيفات أفريقيّاً وعربيّاً، فضلاً عن ترأسه ومشاركاته في الكثير من المؤسسات العلمية واللجان الإدارية داخليّاً وخارجياً.

رحل البروفيسور محمد براهيم ابو سليم في 7 فبراير 2004م بعد أن خلف سيرة عطرة في كل مناحي الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية والإدارية في السودان.

المصادر والمراجع:

- (1) جورج اوغستين سانتايانا فيلسوف وكاتب وشاعر وروائي اسباني الأصل نشأ ودرس في الولايات المتحدة الامريكية ويعتبر مفكراً أمريكياً.
- (2) ب م هولت من مواليد 23 نوفمبر سنة 1918م في استلي فيلاج درس التاريخ في جامعة اوكسفورد ثم حصل على دبلوم التربية في التعليم العام وعمل استاذاً في المدارس الثانوية ومفتشاً في السودان 1941 - 1953م وكأرشيبي حكومي ومحاضر غير متفرع في كلية الخرطوم الجامعية 1952 - 1955م.
- (3) دار الوثائق القومية، الكتيب التعريفي، الخرطوم، 1980م، ص 3.
- (4) عواطف عمر عبد الله، البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم، الخرطوم، 1998م، ص 10.
- (5) عواطف عمر عبد الله، البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم، الخرطوم، 1998م، ص 10.
- (6) محمد صالح يعقوب، ابو سليم في مآتمه الحزين ... ، صحيفة الرأي العام، 12 فبراير 2004م.
- (7) عبود سالم الألوسي، الفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيبي، دار الحرية للطباعة بغداد، 1977م، ص 66.

المصادر والمراجع:

- (1) دار الوثائق القومية، الكتيب التعريفي، الخرطوم، 1980م.
- (2) عبود سالم الأوسى، الفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف، دار الحرية للطباعة بغداد، 1977م.
- (3) عواطف عمر عبد الله، البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم، الخرطوم، 1998م.
- (4) محمد صالح يعقوب، ابو سليم في مآتمه الحزين ...، صحيفة الرأي العام، 12 فبراير 2004م.